من يحق له التحدث
بإسم كل البشر !

7

بصمة
مثقف
المحرر الثقافي :
تحسين عبلس

العراق اليوم
Al iraq alyoum

العدد: 2418 الخميس 20/ 8 /2015

العابثون بالتاريخ..

جنة عدن .. أين تقع؟

أ. د. عبدالله الفَيْفي

لا غرابة في ذاك النهج العجائبي ممَّن دأب على ضَرْب العبريَّة بالعربيَّة في خلْط تركيب الأسماء. بل دأب على تلفيقها، واختلاقها.

يذهب د. كمال الصليبي إلى أن (جَنَّة عَدْن)- لا سواها- هي: (جُنَيْنَة عدنة)، في (بيشة)! فنحن، إذن، نعيش، لا في الأرض المباركة فحسب، بل نحن قبل ذلك، ومنذ الأزل، نعيش في جَنَّة عَدْن، أو في ضواحيها، والحمدلله! لكننا لم نشعر بهذه النعمة، وما ذلك إلا لخُذلان مُبين.

وقد عبَّر الصليبي عن أسفه لأن (المستر فِلْبي) مَرَّ بجَنَّة عَدْن ولم يُدرك أنه قد دخل الجَنَّة برجليه ومن باب الرَّيَّان! أين أنتَ يا باغي جَنَّة عَدْن ونعيمها؟ عليك ببيشة! ولعلَّ جُنَيْنة بيشَة - إنْ كان اسمها هذا قديمًا - هي جُنَيْنة (خُفاف بن نُدبة)، في قوله:

بِغُرِّ الثَّنايا خَيْفَ الظَّلْمُ نَبتُهُ** وسُنَّة رَتم بالجُنَيْنَةِ مُونِقِ

لأن المواضع التي ذكرها خُفاف في قصيدته، مثل (نجران)، و(رهوة)، و(جلذان)، و(لِيَّة)، و(وَج)، ترشح ذلك أكثر من غيره، وإنْ على طريقة الصليبي في الاستدلال! مع أن (الحموي) يزعم أن تلك الجُنَيْنَة من منازل (عقيق المدينة المنوَّرة).. ونحن نزعم- على كلّ حال- أن الشعراء يقولون ما لا يعقلون! والشاهد أن الجنائن، بهذا الاسم، كثيرة في جزيرة العرب، ولكن ما يدرينا أن أسماءها كانت موجودةً منذ أكثر من ألف سنة قبل الميلاد؟.. ونضيف أن في جبال (فيفاء) كذلك مكانًا باسم (عدن)، في جبل (آل عبدل). ولعلَّه أجمل من عدنة بيشة، وأجدر أن يُفترَض جَنَّة عَدْن! فإذا كنَّا سنبني تاريخًا- واقعيًا وميتافيزيقيًا- على وجود الأسماء، فحُثَّ ولا حرج! والعَدَن: شجر، وصفه (فِلْبي) في رحلته إلى فيفاء بقوله: إنه "نو زهر أحمر ورديّ غريب المظهر، وهو مصدر لبخور زكيّ، ينمو إلى ارتفاع يصل ما بين ستة أقدام إلى اثني عشر قدمًا، مستدقًا تدريجيًا من لدن قاعدته الدرنيَّة المنتفخة إلى أطرافه العُليا. وشجر العَدَن من الأشجار المنتشرة في جنوب شبه الجزيرة عمومًا، وبالاسم نفسه. وله استعمالات طبيَّة.. ومهما يكن، فلا غرابة في ذاك النهج العجائبي ممَّن دأب على ضَرْب العبريَّة بالعربيَّة في خلْط تركيب الأسماء. بل دأب على تلفيقها، واختلاقها - كما رأينا مرارًا - كيما يفرض أضحوكة نظريَّة، بَيْدَ أنه ثَمَّ جعل يصطادلها فراش القرائن والحروف من هنا وهناك، وإنْ بأوهى الأسباب. وقديمًا ذبَّه لبددانيُّون العرب إلى المؤتفِ لفظًا المختلِف صِقْعًا من أسماء الديار، لقْنًا إلى كثرة تشابُه الأسماء على اختلاف المواضع، وأنها مَضِلَّة لمن اتَّخذ بضاعته الحروف في تحديد المَواطِن والتواريخ.. وإذا كان مِثْل هذا التهوُّر المُريع يقع من أستاذٍ جامعيٍّ في التاريخ وفي عِلْم الآثار، بل كان رئيس قسمٍ جامعيٍّ في التاريخ، ومدير معهدٍ ملكيٍّ للبحوث التاريخيَّة، فكيف بغيره؟! على أن الملهاة الكبرى تظهر حين يوظَّف التلبيس التاريخي لأغراض (إديو-سياسيَّة)، مهما تكن تلك الأغراض. أمَّا ما أداره صاحبنا من جَدَلٍ في فصلٍ بعنوان "تهامة في التوراة"، من كتابه "التوراة جاءت من جزيرة العرب"؛ ليُثبت أن الإشارة إلى "تهوم" في (التوراة) تعني "تهامة" في الجزيرة تحديدًا، فليس بشيءٍ، ولا ينمّ على معرفة باللغة. ذلك أن كلّ منخفضٍ من الأرض يوصف بأنه "تِهامة"، سواء أكان في الجزيرة، أم في (فلسطين) أم في (المغرب)، أو حيثما كان. فهذا وصف لطبيعة الأرض، وليس علَمًا على مكان بعينه لا غير. وأصل الكلمة مشتقٌّ من "تَهِمَ"، أي تغيَّر، والتَّهَمُ: شِدَّة الحَرّ وسكونُ الرِّيح. قيل سُمِّيت تِهامة بذلك لأنها سَفَلَتْ فَخَبُثَ ريحُها. ومن جهة أخرى، يشير أستاذنا الراحل (الدكتور حسن ظاظا) إلى أن الاسم يَمُتّ بصِلةٍ لُغويَّةٍ إلى الآلهة في الوثنيَّة العراقيَّة القديمة: (تيامَت)، وكانوا يعتقدون أنها المهيمنة على السواحل والشطوط ومصائد السمك. والصليبي، كالمعتاد، لم يقدِّم أيَّ دليلٍ علميٍّ أو لغويٍّ، لا بشأن تِهامة التوراتيَّة، ولا بما يدعم فرضيَّة بحثه بصفةٍ عامَّة. ومِثْل ذلك زعمُه أن (إسرائيل) تعني "سراة الله"، ومن ثَمَّ فهي تشير إلى جبال (السَّراة)! ذلك أن كلمة السَّراة في الأصل وصفٌ كذلك، وليست اسمًا؛ فكلّ مرتفع سَراة. ولذا فالسَّرْو: المُرُوءة والشَّرَف. مأخوذ من سَرَاةِ كلِّ شيء، وهو ما ارتفَعَ منه وعَلا. وجمعُ السَّراةِ سَرَواتٌ. والسَّرْوُ: ما ارتفع عن موضع السَّيْلِ وانْحَدر عن غِلَظِ الجَبَل. وفي حديث (عمر، رضي الله عنه): "لَئِنْ بَقِيتُ إلى قابِلٍ لَيَأتِيَنَّ الراعيَ بسَرْوِ حِمْيَر حقَّه لم يَعْرَقْ جَبِينُهُ فيه". وفي روايةٍ: "لَيَأتِيَنَّ الراعيَ بسَرَوَاتِ حِمْيَر". وسَراةُ اليَمَن: معروفة. ونحن لو استعرضنا الشِّعر الجاهلي كلَّه، لما كدنا نعثر على أن شعراء العرب كانوا يسمُّون جبال (الحجاز): "السَّراة"، ولا "السَّروات". غير أننا في العصر الأموي نعثر على قول (العَرْجي، - نحو ١٢٠هـ = ٧٣٨).

لَوْ أنَّ ما بيَ مِن حُبِّكُم عُلِمَتْ** بِهِ جِبالُ السَّراةِ ما اعتَدَلا

ثمَّ في العصر العباسي قال (النَّهامي، -

١٠٢٥هـ = ١٦٤):

أيا حَبَّذا أرضُ السَّراةِ وحَبَّذا** ثهائمها من أجلِها ونُجودُها

وقال (المعري، -٤٤٩هـ = ١٠٥٧) يصف درعًا:

قَلِقيَّةٌ وكأنَّ مَشْتَى الأُرْدِ في** أرضِ السَّراةِ سَحَا بها لِقِلاعِها

فلقد كانوا يسمُّون تلك الجبال: »الحجاز« غالبًا. على أن السَّروات كثيرة في الجبال وغير الجبال. فكلّ ظهر شيءٍ: سَراته. كما في قول (عَبيد بن الأبرص، -:(٤٥٤

وأمير خَيلٍ قد عَصَيتُ بنَهدَةٍ** جَرداءَ خاظِيَةِ السَّراةِ جَلوس

وإنما قيل لأعلى الجبل سَراة كما قيل لظهر الدابَّة سَراة. ثمَّ ترسَّخ الاسم وانتشر في القرون المتأخرة، واشتهر في العصر الأخير اصطلاحُ (جبال السَّروات). وهناك: (سَراة الأزد)، و(سَراة ثَقيف)، و(سَراة جِمْيَر)، و(سَراة عدوان)، و(سَراة فَهْم)، و(سَراة اليَمَن). من حيث إنها كلمة عربيَّة صميمة، اشتُقَّ منها وصف تلك الجبال، ولا علاقة لها باسم إسرائيل.

ومن الشواهد الإضافيَّة على أن كلمة "سَراة" عربيَّة صميمة، ولا علاقة لها باسم إسرائيل، أننا نجدها في النقوش اليَمَنيَّة القديمة، إشارةً إلى (السَّراة). ذلك أن "سهرتم" و"سهرتن" كان يُشار بهما في تلك النقوش إلى: (منطقة السَّراة)، أو (سُكَّان السَّراة)، كما يُرجَّح قارئو تلك النقوش. بيد أن تخيُّلات الصليبي وتلفيقاتها لا تحدّها حدود، لا تاريخيَّة ولا جغرافيَّة ولا لغويَّة. وبات كلّ اسم فيه الحروف (ي س ر) في جزيرة العرب على صِلةٍ لديه بإسرائيل. ومن ذلك عشيرة اسمها: (آل سلامة)! وباتت (آل التعريف)، والتكنية بـ(آل)، تعنيان لديه (إيل) أو (إله). وعليه فكلّ أسماء القبائل والعشائر والأفخاذ والأسَر المصدَّرة بأداة التكنية (آل) هي لديه أسماء آلهة! حتى قرية (سُرَيْوِيل) في (نجد)، لم يُعفِها من الاستدحاق والتأميم التوراتي، فلم تُعْدِ تصغير "سروال"، بل هي- كما يرى- إشارة إلى: "إسرائيل". وهكذا أصبحت إسرائيل وأشباح تاريخها يترامَيان إلى الرجل من كلّ شيء، نتيجة اللوثة التأويليَّة التي أصابته. هذا فضلًا عن أسماء الأماكن التوراتيَّة التي ظلّ يربطها بأسماء أماكن واضحة الحدوث. ذلك أنك لو بحثت في كتب البلدان الإسلامية عمَّا ينسبه إلى أسماء توراتيَّة ما عثرت على كثيرٍ منها، أو لوجدت أسماء كانت لها قد اندرست اليوم. فأيّ باحثٍ، أو محقق، هذا الذي يكتفي بشَبَهٍ بين اسم اليوم واسم توراتي ليفترض علاقة تاريخيَّة بينهما، ثمَّ يقيم على ذلك نظريَّة تاريخيَّة؟! بل أيّ باحثٍ، أو محقق، هذا الذي يربط اسم مكانٍ تاريخيٍّ باسم فخذٍ من قبيلةٍ نُسِبَ المنتمون إليه إلى جَدِّهم، الذي عاش منذ عقود، أو منذ بضعة قرون على الأكثر، ليقول لك مثلًا: إن (أورشليم) هي: (آل شريم) في (النماص)؟! لن تخريفة صليبيَّة واحدةً كهذه كافية لتشطب على عمل الرجل العِلْمي مصداقيًا، اللهم إلا لدى مَن كان ذا موهبةٍ في تصديق ما يتوهَّم من ثُرَّهات. هذا، ولئن صحَّت القاعدة الذاهبة إلى أنه "لا اجتهاد مع النصّ"، فلا مراء في أن ما ناقض العقل واللغة والتاريخ والمنهج لا يصحّ أن يُعَدّ من الاجتهاد في شيءٍ، بحالٍ من الأحوال، بل هو الاجتراء على المَخْرَقة والاستخفاف بعقول الناس.

عابرُ سبيلٍ في مزالقِ الهوى

جواد غلوم

حينما تدخل قبْواً ينام
فيه الحبّ مثل مارِدٍ
متعب من جولاته
المرعبة وتزيحُ صخرة
الباب لتمرّ هانئا بعبئكَ
الجديد
إياك ان تكسر حجَراً
ببيضة عصفور
إياك ان تحمل بَلَلاً من
ندىً الندى لماءٌ
فيُشْرَب ولا نبعٌ
فيُستسْقى به
انه رفيق الضباب
الصباحي ليتشتتَ في
اول ظهيرة شمس
الفراق امامك
والشجون خلفك لاتمِلّ
مِينا أو يسارا فتنزلق
دونك الهوّة ملاذاً عليك
ان تعبئ حقيبتك
بضماد
تداوي بها جراحاً
ستصيبك ولفائف من
قطنٍ ومحلولٍ مطهّر
لتوقف النزيف الذي
سيأتيك غيلةً
انتقِ من سلال الحبّ
فاكهتَه الناضجة
حذارِ ان تقربَ عناقيد
الحصرمِ لتقطفه في
غير أوانه لئلا تلسعك
حبّاته اللاذعة اختر
غانيتك الغريبة الاطوار
تلك التي تصنع أحمرَ
شفاهها من حشراتٍ
حمرٍ تطبخها وتحيلها
دهاناً تطلي به شفتيها
تستحمّ باللبَنِ
والعسل المغنط
بالقرفة وحالما
يلامسها الجوع تضع
قطعا من البطيخ
الاحمر على مائدتها
لتفرم فصوص الثوم
فوقه كما علّمتها
جَدّتُها كليوباترا خذ
من الحبّ مناسكه
الغريبة طهارته الملوّثة
بالرجس اللذيذ المذاق
فتّشْ في أطيانه وأوحالِه
عن نثار تبْرٍ ضائع
جُسَّ نبضَهُ تجْدْ دفقاً
باهتاً ولو دخلَ في
العناية المركّزة عليلا
التقط منمنمات
جميلة ولو من خِرْقةٍ
بالية مرمية في
الطرقات فكم لعبَ
المكياج بيديه الحاذقتين
وصيّر الدمامةَ أسطورةً
فالحبّ لايتّسخ ولاينالهُ
العفن أرأيتَ شمساً
تنجّست
وهي تقربُ النفايات
والملوّثات ؟!
تبقى نقيّةً بصفاء
قلوب الحواريين حتى لو
اشرقت في الوحل تلك
مزالقك فامشِها ولو
عاثراً
تمسّكْ بهوّتك الخانقة
هي أكثر رحابةً من أن
تتوحّدَ وتكون خَلِيّ
المعشر

الأشجار لا تخطئ

كرم نعمة

شاعر مثل سان جون بيرس شبه الأقمار الوردية المعلقة بثمار المانغو، مع أن التفاح المعلق يوحي بشعرية أعمق.

نعم الأشجار لا تخطئ، وهذا سر الطبيعة التي لا يمتلك مثلها الإنسان، فلم يحدث أن أعطتنا شجرة موز كمثرى، أو شجرة تفاح برتقالة. والبرتقالة ليست الفاكهة الوحيدة عنوان الرواية الأولى لجانيت وينترسون التي فتحت لها مجد الكتابة والاتهامات في آن واحد، بسبب الإيحاء الجنسي للبرتقالة، لكن التفاح له دلالة صحية وحسية أعمق بكثير. ليس بسبب المثل الإنكليزي الرائج عن تناول تفاحة يوميا أفضل الوسائل التي تبعدك عن الطبيب An apple a day keeps the doctor away بل لأن هناك علاقة حسية بين هذه الثمرة ومشاعر الإنسان، وليس جمال التفاحة وحده ما يوحي بالدعة والهدوء، بل إن دراسات نفسية أكدت على أهمية وجود طبق مليء بالتفاح في المنزل تراه العين بشكل مستمر يساعد على الاستقرار النفسي ويهدئ من هيجان المعدة. لم نتحدث بعد عن فائدة تناول التفاح لأن لا أحد يجهلها، ولهذا السبب تبدو جهود الباحثين بجامعة أوسنابروك الألمانية لتهجين التفاح والكمثرى من أجل الحصول على ثمرة بنكهة جديدة، جهودا ضائعة لا تفضي إلى شيء، سوى إلى هدر ٢٠٠ ألف يورو خصصتها وزارة البحث العلمي الألمانية لدعم المشروع. شاعر مثل سان جون بيرس شبه الأقمار الوردية المعلقة بثمار المانغو، مع أن التفاح المعلق يوحي بشعرية أعمق، وربما لهذا السبب توقدت الفكرة في ذهن نيوتن عن الجاذبية، فالتفاحة بهية على غصنها، وعندما تسقط تساعد العلماء على التقاط الفكرة التي تغير النظر إلى الكون. وجود التفاحة على الغصن يحتمل نفس الفلسفة التي أربك بها الجمهور الممثل بيتر سيلرز في رائعة المخرج هال اشبي "أن تكون هناك"، سيلرز الحدائقي البسيط كان يتحدث عن رعاية الأشجار وتقليم الأغصان والطقس بطريقة أبهرت الناس لعدم قدرتهم على تفسيرها، فجعله المخرج في نهاية الفيلم يمشي على الماء في معجزة سينمائية. التفاح إحدى معجزات الطبيعة وهو من بين الثمار التي تعيد التوازن إلى أجسادنا المثقلة بتناول اللحوم، نتفق على أهميته ونصغي لنصائح الأطباء عن فوائده لكننا لا نضعه في مقدمة موائدنا. ولا أدري ما حل بوالد صديق قديم كان يتفاخر في مجلسه أمام الحاضرين لأنه لا يشتهي مطلقا التفاح والبرتقال، بل لا ترغب نفسه في الفواكه برمتها، أما اللحوم فهي طبق يضعه بمقام الهيبة والتعالي وإكرام الضيف والإعلاء من مقرنته. تبقى التفاحة في اليد، لكن الإنسان بحاجة لأن يعيد علاقته بها أكثر مما ينصح به الأطباء والطهاة والأمهات.

قصة قصيرة

(جموح وخيانة)

حيدر عاشور

راودتها الأفكار والأوهام وهي مستلقية على ظهرها شبه عارية مبحلقة في سقف غرفتها المتصدع من رطوبة الشتاء الذي نخره تماما كجسدها الذي هاجرته الذة الحقيقية منذ أن تركها وحيدة تعاني الم والفراغ وسط هذه الجدران الآلية للسقوط بأي لحظة، نفثت آخر نفسا من سيكارتها بحسرة ووجع، وهي تتابع صعود الدخان من فوقها كأنه انتهى توا من ممارسة غضة بين شفتيها ,تلملم شفتيها وتسحب أنفاسها محاولة إرجاع الدخان الى جوف فمها لتعيد النشوة ذاتها ولكنها تفشل ..وذات الوقت تتحدى حرارة الجو فتبقي عرق جسدها يسير مسترخيا بين أعضائها فتتحسس دغدغته فيشعرها برغبة جامحة لوجوده في هذه الساعة من الظهيرة الملتهبة بكل شيء.. انتبهت لصوت المذياع وهو يذيع اغتصاب فتيات من مدينة الموصل على يد قوات (داعش) ولحدهن انتحرت وأخريات انهزمن ليوضحن للإعلام عنف الممارسات الجنسية والاغتصاب العلني باسم الخلافة الجديدة ... راق لها حوار الاغتصاب وعنف الجنس وأخذت تدير المذياع الى محطات أخرى عسى ان تعيد الوسائل الخبر مرة أخرى بتفاصيل أعمق..ولكن عبثا لم تحصل على غايتها وأوقفت المذياع على بيان إعلان دولة الخلافة وعلى الأمة الإسلامية الالتحاق بها وإلا ستغصب أراضيهم .. صرخت بعلو صوتها تكلموا عن اغتصاب النساء ايها الاحراش كيف تغتصب الارض، وأخذت تبحث عن علبة السكائر وهي تتموج على سريرها ويغازل العرق جسدها ... تشعل النار قرب فمها وهي بوضع لا يحسد عليه من التهاب الجسد وعطش الروح ..وهي تتمتم خيانات تملأ الأرض فلماذا لا يخون زوجي ويمارس عشوائيته وانفلاتاته مع البغايا ليثبت رجولته وقوة جسده.. غرقت في ذكرياتها وهي تلعن اليوم الذي وطنها ذلك الخائن واليوم الذي رحل عنها، ستبقى عصامية لن يمسها بشر وسترضى بالعرق ان يسير على جسدها ولن توقفه ما دامت الحرارة مرتفعة والكهرباء مغادرة والحكومة ساقطة في مستنقع الفاسدين والشعب مكونات وطوائف وأحزاب وخونة ومشردين ولقطاء وأولاد موسس اخرهم زوجي الذي شد الرحال الى جهنم من اجل حفنة من الدولارات الحقيرة والسبب الحكومة وأذيالها الوسخة. اخذت نفسا عميقا اوجع فكيها ونفته بقوة باتجاه السقف وهي تحدثه بلغته المتطايرة : اعترف ان زوجي كان انسانا شفافا حكيما عادلا عشت معه ثلاثون سنة، لم اسمع منه كلمة او مفردة تخدش الحياء، كان مواظبا على صلاته وقيامه الليلي، يعشق الليل كما يعشقني، وأتحسس حلاوته وطيبته وواقعيته بشكل يومي، وكنت له مطيعة وصابرة على عسر ماله وضعف إمكاناته، كان يوزع راتبه على نفسه وعليّ بالتساوي، لا يميل الى الدين او الأجل او الاقساط يكتفي بما رزقه الله من خيراته . حتى جاءت الليلة السوداء يوم انتقل من مكان عمله الوظيفي الى اخر... كان المكان الجديد تحكمه طائفة تختلف عن طائفته ورغم كل المحاذير والمشي بجانب الحائط إلا ان القدر كان له بالمرصاد وبدأت المشاكل تتراكم، والضغط النفسي يزداد سوء بعد ان اتهموه بالرشوة وحولوه الى المحاكم، وكاد ان يسجن، لولا تدخل الآخرين.. استمر على حافة الهوية حتى ساوموه على ترك الوظيفة او السجن او الموت المجاني الذي ابيح في بلدي على يد رجال قلوبهم كالجمر الموقد على اولاده وأسبابها مادية او سياسية.. اكثر مما هي طائفية وكلاهما تأسسا على بحر من دم العراقي الشريف الذي لازال يمد بأتساعه، والشارع ملتهب بالصراعات على انواع مختلفة من المزايدات لبيع البلد او تقسيم اراضيه الى وحدات فقيرة تأكل بعضها ببعض وتضعف نفسها بنفسها من اجل ان يقوى الخائن ويتسلط الغازي الجديد باسم الدين والديمقراطية وغيرها من المسميات... لا أجد ضرورة للصراخ بنبرة مسرحية، فالمسمى لا يحتاج إلى تسمية، والمؤكد لا يحتاج إلى تأكيد..وزوجي الحقد على ارضه ووطنه يدعوني الى شر رذيلة ،يطلب مني عبر كل موجات الاتصال المرئية والسمعية ان التحق بقافلة (جهاد النكاح) كي اعصم نفسي من الرذيلة وأتوب الى الله بإباحة جسدي الحر الى جنسيات مختلفة من مجرمي العالم يقتلون الانسان باسم الدين ويبيحون ماحرمه الله... الصوته يتكرر في تنبيهي، وأنا لا اؤمن بجدوى هذه الدعوة الاستعراضية ،لقد تغذيت على حب الارض والوطن ،وهذا ما لا يعنيني أن أجعل قصتي مادة للعلاقات المباحة والمحرمة شرعا وقانونا، سأكون غبية لو وقفت فوق حجر أو فوق غيمة لكشف جميع أوراقي، فهذا لا يضيف إلى وجوده او بعده سوى العار والخروج عن طاعة الرحمن الرحيم ،ولا يضيف إلى جنوني وجموحي ورغبتي دليلا جديدا...لذا أفضل أن أستبقيه في جسدي طفلاً مستحيل الولادة..وطعنةً سرية لا يشعر بها أحد غيري...لأنه في كل الاحوال زوجي المغدور والمغرر به.

الحزن يلازمني

حين يسرق الضوء ظل الشاعر علي حسون لعيبي

الدور التنويري للأدب في تعرية الواقع وكشف علله هي المهمة الأساسية للأدب حين ينحاز للإنسان وحريته وكرامته وتحريره من براثن الجهل والغيبيات.

بقلم : قاسم محمد مجيد

تحمل المجموعة الشعرية الثالثة "الضوء يسرق ظلي" للشاعر والكاتب الصديق د. علي حسون لعيبي سماتها الخاصة، وهي تحلق بنا إلى الإرجاء البعيدة مبتدئا بذم افتتاحي ينبئ عن فداحة المعاناة اليومية حيث الليلة التي أقفلت أبوابها ومخاطبا القارئ عن حزنه اليتيم والقمر الفضي الغائب وعن القلب الذي أغشاه حزن شفيف، ويسأل عن عصفور الحقل "أين أنت يا عصفور الحقل /ما عادت الحرب مهنة /تعال / ونغلق فوهات البنادق". لقد نأى الشاعر في مجموعته عن التقريرية او اللغة المباشرة وأحسن التعبير عن مكنوناته الشعرية، وهي تلح الخصائص المرعبة للوضع الراهن وهو يسحبنا إلى فوضاه وعبثيته:"لكن الحزن يلازمني / والموت هنا /ينام / مستريحا عند أبواب المقابر"، وأيضا جاءت تراكيب نصوصه متوائمة مع حجم الجزع والخيبة ويبرز تعاطفه مع الإنسان الذي حطمه اليأس والوحدة وقسوة الظروف."تقول جدتي إن رؤية الملوك في الأحلام بشارة خير / وها نحن نتقاطر أمامه / يلوح بيديه / يوزع ابتسامته العريضة بسخاء / وهذا يكفي / خذ ذاك من لمحة رضاه". ولأننا نعيش على زاد سراب الأمنيات فلقد صدقنا أن بشارة الإرهاب الذي يطال الأبرياء فقط: "كم أنت رديء أيها الزمن / امقت صمتك / السكاكين تحز رقابنا / وفضائيات الكون / تشبع بصور نحرنا". إنه ينعى صورة الإنسان وهي تتشوه بفعل عوامل التغيير، التي جاءت مع دبابات المحتل! لتضع المصير الإنساني إمام بوابات جهنم ويغرد الجهل منتصرا حين تسبى النساء وتباع في أسواق القرن الواحد والعشرين "سبايا الزمن الرخيص / هل مازلت أيتها السماء / تزاولين لعبة السحب الهاربة" أو "الشارع العام / عند أول نخلة منكوبة / بالحروب / تقلص رصيفه" والدلالات واضحة بما رمز إليه الشاعر من النخلة! لكنه متقلبا "بمئات السيناريوهات الجاهزة / لن تقلق أبدا / ستنام دون كوابيس / وتردد عبارة هل أكون أو لا أكون" هذه العبارة الشكسبيرية التي أطلقت منذ أكثر من أربعمائة سنة وظفها الشاعر كي تنسجم مع حياة يومية بلا تلفيق مفعمة بالأسى. لم يلجا الشاعر د علي لعيبي في مجموعته إلى الفخامة والتزويق اللغوي بل حاول جاهدا أن يبسط لغة نصوصه وان لا تكون شاهد زور على واقع مأزوم وشديد التعقيد. يذكر أن مجموعة "الضوء يسرق ظلي" صدرت عن دار أمل في دمشق وصمم الغلاف الفنانة التشكيلية أميرة ناجي. وهي الثالثة في سلسلة إصدار الشاعر حيث صدر له "بعينه يقذف القمر" عام ١٩٩٧ ومجموعة "حلم ابيض عند أسوار" بغداد عام ٢٠٠١.

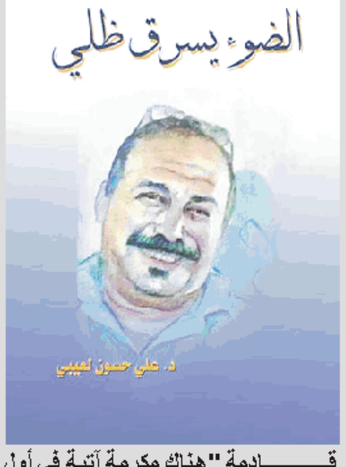

قادمة "هناك مكرمة آتية في أول حنجرته .. / ننتظر وصولها / لكم مني ملايين الأمنيات" أو كما في قصيدة "زمن تتمزق فيه القلوب بلا وجع" التي أدانت الساسة حين أهدروا دماءنا رخيصة "بين مالك مستبد / وقاتل أحمق / لانسمع زقزقة العصافير الصباحية / لا نسمع سوى / هدير مدفع ... ورصاص مجهول". ولا جديد حين نقول إن الدور التنويري للأدب في تعرية الواقع وكشف علله هي المهمة الأساسية الادب حين ينحاز للإنسان وحريته وكرامته وتحريره من براثن الجهل والغيبيات لذا يدعوا الشاعر إلى تحرير الإنسان في زمن تتسارع أحداثه مخلفة ضحايا ونازحين ومغتربين بين جهات الأرض الأربع. وفي قصيدة هي رثاء لطفلة بائعة الشاي التي تمزق جسدها أشلاء بفعل